﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم: 41]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التّنويه بفضائل أبـي الأنـبـيـاء الخليل عليه السلام

لمّا ذمّ الله تعالى الضّالّين في أمر المسيح عليه السلام، وعلّق تهديدهم بوصفٍ دخل فيه مشركو العرب، وختم ذلك بأنّه تعالى الوارث وأنّ الرجوع إليه، ودخل في ذلك الإرث بغلبة أنبيائه وغلبة أتباعهم على أكثر أهل الأرض، ولـمَّا كان إبراهيم عليه السلام لكثرة أولاده من العرب والرُّوم وأهل الكتابَيْنِ وارثًا لأكثر الأرض، وكان مثل زكريَّا عليه السلام في هِبة الولد على كبر سِنِّه وعُقْمِ زوجه، أتبع ذلك بقصّته وفضائله[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾: (ذكر) أَصْلانِ: الذكورة، وخلاف النّسيان، والمقصود هنا الثّاني، تقول ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلافُ نَسيتُهُ، ثُمَّ حُمِلَ عليْه الذِّكْرُ بِاللِّسانِ، ويَقولونَ: اجْعَلْهُ مِنْكَ على ذُكْرٍ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ لا تَنْسَهُ[2]، كما يُطلَقُ الذِّكْرُ على حضور الشّيء القلبَ أو القولَ، ولذلك قيل: الذِّكْرُ ذكران: ذِكْرٌ بالقلب، وذِكْرٌ باللّسانِ، ومعنى الذِّكر في قوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ [النحل: 43]، أي: الكتب المتقدّمة[3]، فيكون معنى ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ في الآية هو: التلاوة باللسان لقصص الأنبياء السَّابقين[4].

2) ﴿صِدِّيقٗا﴾: (صدق) أَصْلٌ يَدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيْءِ قَوْلًا وغَيْرَهُ، مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلافُ الكَذِبِ، سُمّيَ لِقوَّتِه في نَفْسِه، ولِأَنَّ الكَذِبَ لا قوَّةَ لَهُ، هوَ باطِلٌ، وأَصْلُ هَذا مِنْ قَوْلِهم شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ صُلْبٌ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 482، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 111.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(3) الراغب، المفردات: (ذكر).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 413.

ورُمحٌ صَدَقٌ، والصِّدّيقُ: المُلازِمُ لِلصِّدْقِ[1]، وقيل: بل يقال لمن لا يكذب قَطُّ، وقيل: بل لمن لا يتأتّى منه الكذب لتعوّده الصّدق، وقيل: بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقّق صدقه بفعله[2]، فالمرادُ من وصف إبراهيم عليه السلام بالصدّيق في الآية: المبالغة في فرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله تعالى[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأمر بذكر قصّة الخليل عليه السلام والائتساء به

أوحى الله لرسوله ﷺ قصةَ إبراهيم عليه السلام، وأمره بذكرها لقومه، فإنّه كان عظيم الصّدق، والتصديق بآيات الله، ومِن أرفع أنبياء الله تعالى منزلة[4].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى كمال إبراهيم عليه السلام بذكره في القرآن الكريم، وإلى أنَّ أمرَ الله رسولَه ﷺ أن يذكر إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء؛ لأن في ذكرهم إظهارَ الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحثُّ على الإيمان بهم ومحبتهم، والاقتداء بهم[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتة التّعبير بالذّكر عن التلاوة:

أمر النبيّ ﷺ بتلاوة قصص الأوّلين

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ التعبير بالفعل ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾، وهو خطاب للرسول ﷺ، والمراد: (اتل عليهم نبأ إبراهيم)، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الشعراء: 69]، وإنّما قال العلماء بأنّ المقصود من الذكر هنا هو التلاوة؛ لأنّ ذاكر ذلك في الكتاب هو الله تعالى، والكتاب كتابه ﷻ، وقيل: إنّه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).
(2) الراغب، المفردات: (ذكر).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 112.
(4) نخبة من العلماء، التّفسير الميسر، ص: 308.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 495.

ﷺ لكونه النَّاطقَ عنه تعالى ومُبَلِّغَ أوامره ونواهيه كان كأنّه الذَّاكرُ في الكتاب ما ذكره ربّه ﷻ[1].

لطيفة استهلال القصّة بالخطاب:

الإخبار بالمغيبات من دلائل نبوّته ﷺ

استُهلّت القصّة في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ بالأمر ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ خطابا للرّسول ﷺ؛ لأنّه ﷺ ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلدته مشتغلين بالعلم ومطالعة الكتب فإذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان، كان ذلك إخبارًا عن الغيب ومعجزًا قاهرًا دالًّا على نبوَّته[2].

إيثار ذكر ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ دون (القرآن):

حفظُ الله لكتابه في الصدور والسطور

أُطلِقَ في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ اسم الكتاب على القرآن "باعتبار أنَّ الله أنزله ليُكتَب، وأنّ الأمّة مأمورون بكتابته، وإن كان نزوله على الرسول ﷺ لفظًا غير مكتوب، وفي هذا إشارة إلى أنّه سيُكتب في المصاحف، وقد يكون المراد بالكتاب: ما نَزَلَ من القرآن قبل هذه السورة وقد كتبه كُتَّابُ الوحي"[3].

نكتة التعريفِ بـ(أل) في لفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

استغراق الكتاب لكلّ صفات الكمال

جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ لفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ معرّفًا بـ(أل) الدَّالة على العهد الذهني، والمعنى أنّه هو الكتاب الجدير بأن يسمّى كتابًا، وهو الكامل المستغرق لكلّ صفات الكمال، أي أنّه لا كتاب يوصف بالكمال المطلق سواه، ولهذا إذا أطلق الكتاب انصرف إلى القرآن؛ لأنّ المطلَقَ ينصرف إلى الفرد الأكمل، والأكمل بين الكتب هو القرآن، لأنّه كتاب الله تعالى بلفظه ومعناه[4].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 413.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 541.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 160.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4645.

سرّ فصل جملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ عمَّا قبلها:

الاهتمام بذكر إبراهيم عليه السلام في التلاوة

فُصلت الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ عن الجملة قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾؛ لشبه كمال الاتصال، وهو كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى؛ فقد وقعت جوابًا عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى، ففُصِلت عنها كما يُفصل الجواب عن السُّؤال[1]، كما وقعت جملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ موقع التّعليل للاهتمام بذكر إبراهيم عليه السلام في التلاوة[2].

علّة كثرة المؤكّدات في الآية:

تأكيدُ فضائل إبراهيم عليه السلام

استهلّ الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ بحرف التّوكيد وبفعل الكون؛ للاهتمام بتحقيق الثّناء على إبراهيم عليه السلام[3]، إضافة إلى كون الجملة واقعة موقع التعليل للاهتمام بذكره في التلاوة.

إيثار صيغة المبالغة في ﴿صِدِّيقًا﴾:

بلوغ الخليل عليه السلام النهاية في الاتّصاف بالصدق

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ التعبير بلفظ ﴿صِدِّيقًا﴾، وقد جاء على صيغة من صيغ المبالغة وهي (فِعّيل)؛ للدّلالة على شدّة الاتّصاف بالصّدق، ووصْفُ إبراهيم عليه السلام بالصدّيق معناه: البالغ أقصى درجات الصّدق في القول والعمل والإذعان للحقّ، وهو الذي يصدِّق الحقّ إذا ألقي إليه، لا يماري فيه ولا يمتنع عن الإقرار به والإذعان له، وأي دلالة أبلغ من التصديق والإذعان عندما رأى في المنام أنّه يذبح ابنه فهَمَّ بأن يذبحه[4]؛ وذلك لفرط صدقه في امتثال ما يُكلّفه الله تعالى لا يَصُدُّه عن ذلك ما قد يكون عذرًا للمُكَلَّفِ، فالصدق هنا بمعنى بلوغ نهاية الصفة في الموصوف بها[5].

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 112.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 112.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4645.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 112.

نكتة وصف إبراهيم ﷺ بالصِّديقيّة قبل النُّبوة:

كلُّ نبيّ صدّيق دون عكس

وُصِفَ إبراهيم ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ بالصِّديقيَّة قبل النُّبوة، وهذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن تَوَهُّم تخصيص الصدّيقيّة بالنبوّة، فإنّ كلّ نبيّ صدّيق دون عكس، فلمَّا ثبت أنَّ كل نبيّ يجب أن يكون صِدّيقًا، ولا يجب في كل صِدّيق أن يكون نبيًّا؛ ظهر بهذا قُرب مرتبة الصدّيق من مرتبة النبيّ، فلهذا انتقل من ذكر كونه صدّيقًا إلى ذكر كونه نبيًّا[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الذّكر والتلاوة:

خصوص التّلاوة بالقرآن، وعموم الذكر في ما ينطق اللّسان

يتّضح الفرق بين لفظي (الذّكر) و(التلاوة) في علاقة العموم والخصوص بينهما، فالذِّكْرُ عامّ في أمور كثيرة منها: الحفظ للشيء وتذكّره، ومنها جري الشّيء على لسانك، والذِّكْر الشّرف، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]، والذِّكْرُ: الكتاب الذي فيه تفصيل الدّين، وكل كتاب للأنبياء: ذِكرٌ، والذّكر: الصلاة، والدعاء، والثناء[2].

أمَّا التلاوةُ فهي في اللغة: الإتباع، يقال: تلاه يتلوه تُلُوًّا، أي تبعه، ثم خصصت دلالة الكلمة في معنى قراءة القرآن؛ لما في قراءة القرآن من تتابع الآيات بشكل منتظم، فالتلاوة هي قراءة واتّباع معًا[3].

(1) ابن عادل، اللّباب: 8/ 413.
(2) الخليل، العين: (ذكر).
(3) محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية، ص: 158.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»